اللغة العاميّة واللغة الفُصحَى

(تابع لما قبل)

بقي ان اللغة فضلاً عما رَهِقها من العجز عن مجاراة لغات العصر بسبب ما ذُكر من تبدُّل شؤون الحضارة وما نشأ في الاعصر الاخيرة من المخترعات والمكتشفات فان الذي وصل الينا منها والذي تجري بهِ السنتنا واقلامنا ليس الا جانباً يسيراً من مبتذلها وعاميّها لا يكاد يفي بالتعبير عن اغراضنا الطبيعية ولا يتأتى بهِ تمثيل كثيرٍ من الخواطر والمعاني الدقيقة . وبعبارةٍ اخرى فانهُ لم يصلنا من الفاظها الا ما يدلّ على اجناس المعاني دون ما تحتها من التفاصيل وما يُنحَى بها من الاعتبارات المختلفة بحيث لو جُمعت تلك الالفاظ في معجم لم تبلغ ربع ما تكلمت بهِ العرب وبالتالي فانها بعض لغةٍ لا لغة . ولا نعني بما فاتنا منها الالفاظ المترادفة كاسمآء السيف والاسد وغيرهما مما يعبَّر بهِ عن المسمى الواحد بمئاتٍ من الالفاظ ولا ما يتعلق بالاحوال البدوية من نحو وصف الابل والخيام وما اشبه ذلك ولكن هناك الفاظاً وتراكيب مما نفتقر اليهِ كل يوم في مخاطباتنا ومكاتباتنا حتى ان الكاتب كثيراً ما يعوزهُ اللفظ لاوسع المعاني شيوعاً وابدهها اغراضاً مما لا شك ان العرب وضعتهُ وتكلمت بهِ ولكنهُ تنوسي لبعد العهد بالفصيح وزوال صناعة القلم من بيننا ادهاراً طوالاً . ولذلك كثيراً ما ترى الكاتب منا يعبّر عن الشيء بغير لفظهِ وربما اخطأ اللفظ بتةً فلم يجد ما يعبّر بهِ وهذا هو السبب في انك ترى بعض كتابنا ممن قلّ رأس مالهم من اللغة يرمونها بالقصور ويميلون الى استبدال العاميّ من الفصيح على ما هو رأي القاضي ولمور وحزبهِ ذهاباً الى ان العامي

اوسع مذهباً وأطوَع للتعبير عن وجوه المعاني المختلفة . ولو وُفّقوا الى استقراء كلام العرب والوقوف على ما كان لهم من سعة التصرف في ابراز المعاني على اختلاف مناحيها وتباين الوانها لعلموا ان القصور من جهتنا لا من جهة اللغة وانها فيما خلا الاوضاع المحدثة لا تعجز عن تمثيل معنًى من المعاني مهما اختلفت صُوَرهُ بل هي في ذلك على ما لا تضارعها فيهِ لغةٌ من لغات الارض على الاطلاق

لا جرَم ان من طالع كتب الاوائل وتفقد معجمات اللغة يجد ما لا يُحصَى من الالفاظ والتراكيب التي نشعر بأشدّ الحاجة اليها ولا نجد في لغة الكتابة الحالية ولا في اللغة العاميّة ما يرادفها او يُغني عنها . الا ان العثور على تلك الالفاظ والوصول منها الى القدر الكافل بالغناء يقتضي فراغاً طويلاً ودرساً متواصلاً وليس ذلك في طوق كل احدٍ ان يفعلهُ فضلاً عن ان مثل هذا القدر لا يمكن ان يرسخ في المحفوظ لكثرتهِ وقلة تداولهِ في الاستعمال اذ هو مقصورٌ على الكتابة دون الحديث . ولهذا كان من امسّ حاجاتنا جمع اكثر الالفاظ دوراناً في كتابٍ يضعها بحيث يجد الطالب ضالّتهُ منها على غير كلفةٍ ولا عناء وهذا انما يتمّ بأن توزَّع الالفاظ على اجناس المعاني فيُذكر لكل معنًى القالب الذي يعبَّر بهِ عنهُ وهو الترتيب الذي جرى عليهِ صاحب الالفاظ الكتابية . الا ان هذا الكتاب مع اقتصارهِ على بعض الاغراض دون بعض ومع قصر فصولهِ احياناً الى ما لا يشفي الطالب فقد كان من سوء الطالع ان النسخة التي اشتهرت منهُ وهي التي طبعها جماعة اليسوعيين في بيروت جاءت على اسوأ حالٍ من التحريف والتصحيف والزيادة

والنقصان حتى عددنا فيها نحو ٩٠٠ غلطة مع ان الكتاب لا يتجاوز ٣٠٠ صفحة صغيرة كما سبق لنا الايمآء الى ذلك في بعض اجزآء البيان وقد نبهنا على بعض هذه الاغلاط في مواضع من الضيآء مما تكفي مراجعتهُ لمعرفة ما صار اليهِ هذا الكتاب[1] . وكنا قد عمدنا الى تصحيح هذه النسخة على ان نعيد طبعها منقحةً خدمةً للطلاب ولكنا رأينا بعد التصحيح انها قد بعدت كثيراً عن الصورة التي طُبعت عليها ولا بدّ ان تكون قد بعدت كذلك عن اصل التأليف فأهملناها وشرعنا في وضع كتابٍ آخر ضمّنّاهُ ما شآء الله من الاغراض فجآء فيما يقدَّر بألف صفحة أو ما يقرب منها. غير اننا بعد ما شرعنا في طبعهِ قُيّض لهُ سببٌ من ورآء الغيب ذهب الكتاب بجريرتهِ فراح فريسة التهوُّر والطيش ثم عرض لنا من الشؤون ما اوجب توقفنا عن معاودة الاهتمام به وسنستخير الله في اعادة طبعهِ اجابةً للراغبين وعلى الله الاتكال[2]

---

(١) بشرتنا مجلة المشرق في هذه الايام بأن مصحح هذا الكتاب الاب لويس شيخو قد وقف على نسخ اخرى منهُ وفي نيتهِ ان يعيد طبعهُ على طريقةٍ علمية (؟) مع الاشارة الى كل نسخة بعلامات اصطلاحية كما يفعل العلمآء المستشرقون ..... فموعدنا بالكلام على النسخة الجديدة حين ظهورها ولعل القسم منه تصير بركة حضرة الاب ١٥٠٠

(٢) كان من امر هذا الكتاب اننا بعد ان طبعنا نحو ربعهِ في المطبعة الادبية في بيروت عرض لنا السفر الى الديار الاوربية فبينا نحن في باريز وردنا الخبر بأن المطبعة قد احترقت او أُحرقت لسبب لا ندكرهُ وكان فيها الف وخمس مئة نسخة منه ذهبت بأسرها طعمة النار . فلما القينا العصا بهذه الديار هممنا باستئناف طبع الكتاب ولكن رأينا ان الكتب هنا والمدارس والمعلمين وطرق التعليم كل ذلك محتكرٌ لنظارة المعارف تحت طابع ما يسمى بالبكلوريا ... فتوقفنا عن الطبع الى ان نجد سبيلاً الى احصآء هذا الكتاب في جملة الكتب المقررة لمدارس النظارة لأنا وجدنا اننا اذا

نقول اخيراً انهُ لم يمرّ بهذه اللغة عهدٌ هي فيهِ احرج موقفاً من عهدها الحالي فانها قائمةٌ بين خطرين عظيمين احدهما ما طفح عليها من جانب العالم الغربيّ من الوف الاوضاع والمصطلحات التي لا غنى لنا عن استعمالها واللغة خِلوٌ منها والثاني ما نرى من تضافر العناصر على نسف دعائمها

اعتمدنا فيهِ على من عندنا من الادباء والكتاب انحصرت الفائدة التي نتوخاها منهُ في نفرٍ معدود ولم يكن في ريعهِ ما يسدّ نفقاته . وكان قد بقي عندنا نسخٌ من المطبوع فرفعناها الى سعادة الناظر وذاكرناهُ في الامر فأصبنا منهُ ارتياحاً الى تليتنا وكلفنا ان نكتب شرحاً نبين فيهِ مضمون الكتاب ففعلنا ورفعنا اليهِ عرضاً بهذه الصورة

الى جانب نظارة المعارف المصرية الجليلة

المعروض انهُ لما كانت في هذه الايام قد راجت صناعة القلم بين عامة المتأدبين بآداب لغتنا العربية وهبت الرغبة في النفوس لتحدّي الكلام الفصيح والنسج على منوال المتقدمين من كتاب هذه الامة وكان ذلك لا يتسنى الاّ باستظهار الفاظهم واستحضار صور اساليبهم وهو ما لا يتيسر الاستيلاء عليهِ الاّ بعد ادمان الجهد وقضاء الازمنة الطوال حثتني الرغبة في تقريب ذلك على روّامهِ ان اجمع من تراكيب الفصحاء وناصع الفاظهم في كل ضرب من ضروب المعاني والاغراض المتداولة ما يكون مورداً لأقلام المنشئين والمعرّبين بحيث يجد الطالب في كل واحد من تلك الاغراض عدّة قوالب مترادفة المعاني متباينة الاسلوب يختار منها ما يوافق اربهُ ويلائم ذوقهُ على غير جهدٍ للروية ولا عناء في البحث

وقد نسقت ما جمعتهُ من ذلك في ابواب وفصول يُرجع اليها في الطلب تتبعت فيها احوال الانسان وما يعتبر فيهِ من الصفات ويعرض لهُ من الشؤون ورتبت تلك الاحوال على اعتبارين احدهما ما يتعلق بالانسان في خاصة نفسهِ فيدخل فيه وصف فطرتهِ واخلاقهِ وما يعرض لهُ من الاحوال الطبيعية والانفعالات النفسانية وما يرجع اليهِ من نسب ويتصف بهِ من علم وادب الى ما يلحق بذلك ويتفرع عنهُ والثاني ما يضاف اليه باعتبار وجودهِ في الحال الاجتماعي ومخالطتهِ للامور الخارجية في اثناء تصرّفه وكسبهِ فيندرج في ذلك تفصيل ما يقع لهُ من الاحوال والافعال في ضروب

ودرس معالمها مع ما المّ بأصحابها من الغفلة والذهول حتى ذهب اكثر قديمها فضلاً عن عدم احداث جديدٍ فيها. ومن انكد ما مُنيت بهِ ان العارف من اصحابها قد ضرب الاملاق على يدهِ فهو قصير الباع اشلّ الساعد والمثري لا يهمّهُ امر اللغة ولا الامة فهو في وادٍ والعلم وذووهُ في واد

المعاشرات والمعاملات ووصف ما يجدهُ في مزاولة الامور ومعالجة الاشيآء وذكر ما ينتظم بهِ حال مجتمعهِ من السياسة والقضآء وما ينضمّ الى ذلك من تفصيل احوال الملك والحامية والجند ووصف ما يسعهُ من مسكن يأوي اليهِ وبلدٍ يضرب فيه وجوٍّ يكتنفهُ الى ما يتصل بهذه الاطراف وختمتهُ بذكر الاحوال الاخروية والتهيؤ لها وما أُرصد لهُ فيها من ثواب وعقاب

وقد قرنت كل غرض من هذه الاغراض بضدهِ تسهيلاً للطلب واختصاراً من تعداد الفصول فذكرت البخل مثلاً في باب الجود والحين في باب الشجاعة وكذا الكذب مع الصدق والهزل مع الجدّ والجور مع العدل والبعد مع القرب والهدم مع البنآء وهلمّ جرًّا في كل ما احتمل ذلك

اما حجم الكتاب فيبلغ نحواً من الف صفحة ستصدر في ثلاثة اجزآء تطبع بالشكل الصرفي واللغوي مع تفسير الغريب باصحّ تعاريفهِ اخذاً عن اوثق كتب اللغة واشهرها بحيث لا يكون للمطالع ادنى ريب في الاعتماد عليهِ

ولما كانت مدارس حكومتنا السنية خالياً برنامجها عن كتابٍ من هذا النوع على شدة لزومهِ وافتقار المتعلمين اليهِ رأيت ان اعرض نموذجاً منهُ على هذه النظارة الجليلة لتنظر فيهِ حتى اذا وجدتهُ موافقاً للغرض من انشآء تلك المدارس مهيئاً لأن يُشفع العلم بالعمل من اقرب سبيل وموصلاً لاظهار ثمرة التدريس فيها باوضح جلآء اصدرت قرارها بجعلهِ من الكتب الرسمية فيها ولها في ذلك رأيها الموفق ان شآء الله تعالى

ثم اني بالاشتراك مع رصيفي حضرة الدكتور بشارة افندي زلزل ارفع الى مقام النظارة الجليلة الجزئين الاولين من مجلة البيان التي شرعنا في اصدارها في هذه العاصمة وهي مجلة علمية ادبية طبيه صناعية تتضمن اهم المباحث في الابواب المشار اليها مع ذكر كل ما يحدث في عالمي العلم والصناعة من الاختراعات والاكتشافات مما تحتملهُ حالة العلم

على ان ما نحن فيه اليوم ليس بأول عاصف هبّ على هذه اللغة فوقفت منهُ موقف السفينة من التيار فقد عبرت في مثلهِ ايام انتقل ذووها من ظلال المضارب الى اكنان القصور وغادروا مسارح البادية الى شوارع المدن ولكنهم كانوا قوماً اهل حزمٍ ويقظة عارفين بقدر لغتهم حراصاً على روابط

في هذا القطر وقد فسحنا فيها موضعاً للمباحث اللغوية نورد فيهِ ما يتفق لنا الظفر بهِ من آثار السلف ونحيي ما الدرس من الفاظ هذه اللغة الشريفة ومصطلحاتها العلمية والصناعية مع بذل الجهد في وضع ما خلت اسفارها عنهُ من الالفاظ العصرية التي حدثت معانيها بعد الواضعين تذرعاً الى اتمام اللغة والحاقها بسائر اللغات المعاصرة

ولا يخفى ما في هذه المطالب كلها من الفائدة والتبصرة للدارسين بما ينشأ عنها من ارهاف اذهانهم بالمباحث العلمية والفلسفية والادبية واكسابهم ملكة التعبير على الاسلوب الصحيح فضلاً عما هنالك من المسائل المتعلقة باللغة على خصوصها مما لا يكاد يخلو جزء من اجزآئها عن شيء منهُ

فنرجو التفضل بالنظر فيها ايضاً مع الرسم بما يحسن وعلى جميع الاحوال فالامر لوليه

القاهرة في ٢١ ابريل سنة ١٨٩٧

ومضت على ذلك الايام ودرجت الاسابيع ونحن في انتظار الجواب ثم علمنا ان ان الامر موقوف على ما يرتئيه حضرة « مفتش اول اللغة العربية » ... وكان في تلك المدة متغيباً في بعض نواحي القطر وبعد ان اتى على ملتمسنا نحو شهرين ونصف وردنا الجواب بهذه الصورة

حضرة المحترم ابراهيم افندي اليازجي

ان كتاب المترادفات والعددين من مجلة البيان المقدمين من حضرتكم بمكاتبة في ٢١ ابريل سنة ١٨٩٧ الجميع حسن في بابه عنوان على فضل مؤلفه غير ان في الكتب المقررة للمدارس ما فيه غنا للتلامذة واقتضى تحريره لحضرتكم للمعلومية ومعهُ الملازم والاعداد المذكورة

وكيل المعارف

في محرم سنة ١٣١٥ يونيه سنة ١٨٩٧ محل الختم

٣ صفر سنة ٣١٥ ٣ يوليه سنة ٩٧ يعقوب ارتين

جامعتهم فقام امثال الامام عليّ وأبي الأسوَد الدُؤَلي والخليل بن احمد وغيرهم وتداركوا امر اللغة من السقوط ثم جآء مَن بعدهم فعرَّبوا كتب اليونان والفرس وغيرهم ووضعوا ما لا يُحصى من الالفاظ المستحدثة في العلم والصناعة وغيرهما مما لا تزال آثارهُ في كتبهم ناطقةً بفضلهم . فأين منا اليوم تلك الهمم وعلى من نعوّل في ادراك هذه الخُطَّة البعيدة والذين نرجوهم لها على ما وصفنا

جملة الامر أن اللغة اليوم واقفةٌ على مفصل طريقين لامحيد لها عن

فشكرنا النظارة المشار اليها على ما تفضلت به علينا من الثنآء ولم يسعنا الا معذرتها في الاستغنآء عن الكتاب اذ اسنا عليها بمسيطرين غير انهُ لم يزل في النفس شيءٌ من معرفة الكتاب المقرر للمدارس في هذا الغرض لعلنا اذا وقفنا عليهِ نجد نحن ايضاً ما يغنينا عن تجشم عنآء التأليف ونفقات الطبع حتى اظفرنا الطلب بل الصبر بالضالة المنشودة لان الكتاب لم يبرز الا في هذه الايام ..... فوجدنا ما استوقفنا بين الحيرة والفكر لانا وجدنا هناك كراسةً لا تجاوز ٦٢ صفحة جآء في عنوانها ما نصهُ . « قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب واستعماله « بالمدارس » الثانوية بعد ان « نظره » فضيلتلو حضرة العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله مفتش (اول) اللغة العربية « بالمدارس » و « أقرّ » على طبعه » . وجآء في ختامها العبارة الآتية . « قد تلوت هذا الكتاب واكملتهُ تصحيحاً وضبطاً لمفرداته اللغوية عراضاً على امهات الكتب فجآء بحمده تعالى صحيح المبنى والمعنى وقلما يوجد ذلك في اضرابه من الكتب المؤلفة في بابه (كذا) وفرغت منهُ في اواسط جمادى الآخرة سنة ١٣١٨ — ١١ اكتوبر سنة ١٩٠٠ كتبهُ الفقير اليهِ عز شأنه حمزة فتح الله » اه

وانما ذكرنا هذا كلهُ ليكون عبرةً لقومٍ يتفكرون وليعلم منهُ الدآء الذي اوهن جسم الامة وحلّ اعصاب الجامعة الوطنية وسنوافي القرآء بما يبدو انا من الكلام على هذا التأليف والله المسؤول ان ينير بصائرنا ولا يجعل بيننا و بين الحق حجاباً حتى لا نكون ممن ضاع الحق بينهم ... والسلام

سلوك واحدٍ منهما فإمّا ان تحيا وتستعيد ماضي شبابها حتى تكون كاحدى لغات اهل العصر واما ان يُسجَل عليها بموت لا حياة بعدهُ ولا مبعث منهُ . وكلا الامرين منوطٌ بالامة معقودٌ بهممها وسخآئها فان وُجد في خاصتها وعلمآئها من ينتدب لامساك هذا الرمق الباقي منها وفي حكومتها أو في ذوي الوجاهة واليسار منها من يشدّ ساعدهم في ذلك والا فليؤ بنّها ذَوُوها من اليوم ما دام فيهم فصيحٌ يحسن تأبينها ثم ليؤبّنوا الامة على اثرها فلا بقآء لامةٍ بدون لغتها ولله البقآء وهو سبحانهُ مقلّب الليل والنهار وفي يدهِ ازمّة الامور

زنجبار

بقلم حضرة الكاتب ديمتري افندي نقولا صاحب مجلة الفكاهة
عن كتابٍ لهُ تحت الطبع
(تابع لما قبل)

اما عوائدهم في الاعراس فاذا اراد شخص ان يتخذ لهُ زوجةً يرسل احدى قرائبهِ الى بيت العروس التي صمم على خطبتها فتنظرها وتتفحص عن احوالها فاذا رجعت ووصفت لهُ حسنها وجمالها وراقت لهُ يرسل والدهُ او عمهُ او احد اقربآئهِ ليخطبها لهُ من والدها او عمها او وليّ امرها وفي الوقت نفسهِ تذهب النسآء من قرائب الرجل الى والدة او عمة العروس لخطبتها ايضاً ويقرَّر الصداق . وهو على درجات فبنات الامرآء صداقهنَّ ١٠٠٠ ريال وبنات الاعيان ٥٠٠ ريال وبنات المتوسطين من ٢٠٠ الى ١٠٠ ريال هذا اذا قُبل الخاطب من اهل المخطوبة (من غير علم العروس نفسها)